تفسير سورة الانشقاق

دراسة موضوعية

إعداد الباحثة

فاطمة سلامة سليم الجهني

باحثة دكتوراة

كلية الدين وعلوم الأديان – جامعة تبوك

المملكة العربية السعودية

تفسير سورة الانشقاق – دراسة موضوعية –

فاطمة سلامة سليم الجهني

التفسير وعلوم القرآن، قسم العلوم الأساسية، كلية الدين وعلوم الأديان، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: fsaljohani@ut.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الحديث عن: "تفسير سورة الانشقاق دراسة موضوعية"، أردت به أن أتعرض لتفسير سورة شريفة من سور القرآن الكريم التي صغر حجمها، وقصر مبناها، لكن عظم معناها، وهي سورة الانشقاق، حيث يكشف البحث عن بعض أسرار تلك السورة وأنوارها، من خلال التفسير الموضوعي لآياتها كأحد أنواع التفسير الهامة، كما أردت أن أقدم دراسة عامة عن سورة الانشقاق، من حيث اسمها، وعدد آياتها، وكلماتها وحروفها، وترتيبها، ونوعها، وتحقيق القول فيما ورد في فضلها، والمناسبة بينها وبين ما قبلها، وبيان الأغراض والمقاصد التي اشتملت عليها؛ وخلصت إلى أهمية التفسير الموضوعي في الكشف عن التناسق القرآني العجيب المعجز الذي يظهر من خلاله عظمة كتاب الله عز وجل؛ وخلصت إلى وجود وحدة موضوعية في سور القرآن الكريم وذلك رد على أولئك النفر من المستشرقين الذين زعموا خلاف ذلك؛ وخلصت إلى فضل سورة الانشقاق كأحد سور المفصل وواحدة من ثلاث سورة أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بدراستها لفهم ما يحدث يوم القيامة؛ وخلصت إلى أن أسلوب سورة الانشقاق في عرض يوم القيامة امتاز بطابع الانقياد والاستسلام مما يتناسب مع دلالات اسم السورة، وكذلك أسلوبها في عرض مصير الإنسان يوم القيامة قصد به بيان كمال الاستسلام.

واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الاستنباطي في عرض الموضوعات وتحليلها وربطها مع بعضها جرياً على الطريقة المعهودة في الدراسات الموضوعية.

الكلمات المفتاحية: تفسير، سورة الانشقاق، دراسة موضوعية، القرآن، منهج.

Surah Al-Inshiqaq Exegesis

- Objective Study –

Fatma Salama Saleem Al Juhany
Exegesis and Holy Quran and its Sciences, Department of Basic Sciences, College of Religious Studies, Tabuk University, Kingdom of Saudi Arabia.
E-mail: fsaljohani@ut.edu.sa

Abstract

This research discusses the "Surah Al-Inshiqaq Exegesis: An Objective Study" with the aim of exegeting an honourable Surah marked by being concise and short, notwithstanding that it has a great meaning and significant connotations. Having objectively researched and interpreted the Surah verses, the Researcher reveals some of the secrets and milestones found within the Surah. Through this research, the Researcher wants to provide a general study of Surah Al-Inshiqaq in terms of its name, number of verses, words and letters, number of the surah, classification (Makkan and Madinah), authenticity of the narrations of its virtues, its relation with the previous Surahs, and the objectives and the purposes implied within it. The Researcher concludes that objective exegesis is critical in revealing the spectacular and miraculous coherence of the Quran, which reflects the greatness and thematic unity of Allah's Book, responding to the Orientalists alleging otherwise. Moreover, Surah Al-Inshiqaq is considered one of the Mufassal Surahs and is one of the three surahs we were instructed to contemplate by the Prophet (PBUH) in order to understand the events of Judgement Day. Furthermore, the Researcher finds that Surah Al-Inshiqaq addressed Judgement Day with a theme of obedience and surrender, aligned with the

connotations of Surah's name. Additionally, Surah Al-Inshiqaq showcased the fate of a man on Judgement Day in a manner that highlights man's complete surrender.

The Research used both deductive and inductive approaches to present, analyze, and connect the research themes in accordance with the usual method followed in objective studies.

Keywords: Exegesis, Surah Al-Inshiqaq, Objective Study, Quran, Approach.

مقدمة

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، وحجته الباقية، فهو كتاب نور وهداية، وكتاب علم وعمل، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، وقد أمر الله عباده بأن يتعظوا بهذا القرآن ويعتبروا بآياته، بعد أن يتدبروها ويتفكروا فيها، حيث قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[3]، وأخبرنا الله تعالى أن القرآن يهدي للتي هي أقوم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾[4].

وقد نزل الله القرآن على قلب رسوله محمد الله منجما حسب الوقائع والأحداث، وكان عليه الصلاة والسلام كلما نزلت عليه آية أمر أصحابه بكتابتها في مواضع يعينها لهم حسَبما وقفه جبريل عليه السلام دون مراعاة لترتيب النزول، وقد تألف مما جمع على هذا النحو سور مؤتلفة المباني، متسقة المعاني، متناسقة الموضوعات، لا تكاد تحس بأدنى خلل في بنائها، أو تنافر بين أجزائها.

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣، ٤٤.
(٢) سورة ص: ٢٩.
(٣) سورة محمد: ٢٤.
(٤) سورة الإسراء: ٩.

وقد اهتم بعض العلماء منذ وقت مبكر بدراسة أسرار الآيات ونظمها تحت اسم الإعجاز البلاغي والبياني، ولا شك في أن التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم شامل لجميع هذه الأسرار ومن هنا جاءت أهميته في التفسير مما يجعله يستحق البحـــث والدراسة.

مشكلة البحث:

ليس هناك مشكلة حقيقية تقف حاجزاً أمام هذه الدراسات، لكن مثل هذه الدراسات الموضوعية التي تهدف إلى إظهار الترابط الموضوعي والعضوي داخل القران بشكل عام، أو السورة بشكل خاص، عادة ما تحتاج لفكر ثاقب، واستنباط صائب، وهذا ما يجعل الباحث يعيد النظر مرات ومرات خاصة في المواطن التي لا يظهر فيها الترابط لأول نظرة، وهذا يستغرق جهداً ذهنيا، زمنياً في آن واحد.

أهداف البحث:

أردت من خلال بحثي هذا تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان أهمية التفسير الموضوعي في الكشف عن التناسق القرآني العجيب المعجز الذي يظهر من خلاله عظمة كتاب الله عز وجل.

٢. الرد على أولئك النفر من المستشرقين الذين زعموا بأن القران خليط متنافر، وجمع غير مؤتلف، ليس فيه وحدة للموضوع، وأنه بحاجة لإعادة ترتيب، كما زعم المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير وغيره.

أهمية البحث:

يعد البحث في علوم القران من أهم العلوم التي ينال بها الانسان رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، كونه مرتبطًا بكلام الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال ابن عطية: "لما أردت أن أختار لنفسي وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي[١] سبرتها بالتنويع والتقسيم وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، (١/ ٣٤).

فوجدت أمتنها حبالاً وأرسخها جبالاً وأجملها آثاراً وأسطعها أنواراً علم كتاب الله"(١).

حدود البحث:

تقتصر هذه الدراسة الموضوعية على سورة الانشقاق من خلال دراسة وحدتها الموضوعية والتي هي نوع من أنواع التفسير الموضوعي، بل تعد –الوحدة الموضوعية من خلال سورة معينة– من أفضل الدراسات القرآنية في هذا المجال دقة كونها محددة ومتقنة.

منهج البحث:

إن المنهج الذي اتبعته هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي في عرض الموضوعات وتحليلها وربطها مع بعضها جرياً على الطريقة المعهودة في الدراسات الموضوعية.

الدراسات السابقة:

في حدود اطّلاع الباحث، وبعد البحث في مراكز البحوث المختلفة حصل الباحث على الدراسات السابقة الآتية:

الدراسة الأولى/ راجي محيسن محمد الهلالات، القسم بالإشارات الكونية في سورة الانشقاق وعلاقته بمقصد السورة، مجلة الدراسات الاسلامية والعربية – جامعة الأزهر– مصر– العدد (٥)، ج٣.

وقد جاء البحث متناولاً صور الإعجاز القرآني في السورة الكريمة وإيضاح دلالات القسم فيها، ثم الوقوف على العلاقة بين مقصد السورة وآيات القسم الواردة فيها والتي تشكل الإشارات العلمية الكونية، ثم تحديد دلالة الإشارات في آيات القسم، وتحديد العلاقات بين هذه الأقسام بالإشارات العلمية، وخاتمة بيّن فيها أهم ما

(١) أَصلُ الرَّمْس: السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ. وَيُقَالُ لِمَا يُحْثَى مِنَ التُّرابِ عَلَى القَبْرِ: رَمْسٌ. وَالقَبْرُ نفسُه: رَمْسٌ. انظر: لسان العرب، (٦/ ١٠١).

توصل إليه من نتائج، حيث قام على منهج البحث الاستقرائي والتحليلي والاعتماد على المصادر العلمية ما أمكن.

وبعد تتبع هذه الدراسة توصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها:

١.استحالة تصادم الآيات القرآنية مع الحقائق العلمية، فإذا وجد تعارض ظاهري بينهما، فيجب تمحيص ما يعتقد أنه حقيقة علمية، أو إعادة النظر في فهم الآية، فيكون الخلاف بذلك ناشئا حتماً عن جهل علمي، إما باللغة، أو بالقضية العلمية ذاتها.

٢.معظم أقوال المفسرين القدامى والمحدثين لا تتعارض في تفسير الإشارات العلمية في سورة الانشقاق.

٣.إن اختيار اللفظ الدقيق بي ذكر الاشارة الكونية في سورة الانشقاق كان قد أسهم في بناء مقصد السورة.

٤ إدراك العلاقة بين القسم بالإشارات المتعددة في السورة الواحدة، ربما أسهم في الوقوف على مقصد تلك السورة، والعكس الصحيح، فإن إدراك المقصد يسهم في تحديد العلاقة.

إن دراسة الباحث هنا تظهر العلاقة بين الإشارات العلمية المقسم بها في سورة الانشقاق كانت مظهراً للتغير الكوني في الدنيا، وهذا دليل على قدرة الخالق على التغيير المطلق في الآخرة.

الدراسة الثانية/ محمود حيدري، سورة الانشقاق دراسة أسلوبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية- جامعة ياسوج - جمهورية إيران الاسلامية.

وقد جاء البحث متناولاً أسلوبية سورة الانشقاق مستعيناً بالمنهج الوصفي-التحليلي مستهدفاً الفهم الأشمل والأكثر للمعاني والمفاهيم الموجودة والكشف عن أسرارها وجماليتها والعلاقات اللغوية المختلفة بينهما، إذ أن القران فيه سياقات وأساليب متنوعة ينبغي دراستها وتحليلها لأجل توضيحها وفهمها فهماً منطقيا.

وبعد تتبع هذه الدراسة توصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها:

١.الدراسة الصوتية دلتنا على وجود صلة تامة بين الصوت والمعني كما برز التكرار الصوتي في السورة وقد ساهم في تأدية المعني.

٢.دراسة المستوى التركيبي، وقد جاء أسلوب الاستفهام مرة في كل السور ويؤدي إلى التفكر والتأمل، لا على طلب الفهم.

٣.أما على صعيد المستوى الدلالي فقد تميزت الألفاظ والتركيب علاقات دلالية.

الدراسة الثالثة/ عيسى صلاح الرجبي، من أسرار النظم القرآني في سورة الانشقاق. مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٧٢.

حيث تتناول هذه الدراسة موضوع اليوم الآخر وأحداثه في سورة الانشقاق بأسلوب بلاغي حيث تأتي هذه الدراسة البلاغية لتذوق جماليات النظم الإعجازي في آيات السورة الكريمة وتلمّس الأسرار البلاغية واللطائف البيانية فيها مع العناية بالفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، وربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام الذي ورد النص الكريم بشأنه.

واستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي بتحليل آيات السورة آية آية؛ لاستجلاء الخصائص البلاغية الكامنة في مفرداتها وتراكيبها مع الاعتماد في ذلك على الرجوع لمصادر متنوعة من أهمها كتب التفسير التي تعتني بالتحليل البلاغي، ومصنفات علماء المتشابه اللفظي حيث عرض الباحث من خلالها لتوجيه أساليب هذه السورة المتشابهة في النظم مع غيرها من سور القرآن الكريم بقصد الكشف عن السر الكامن في اختيار لفظ فيها على آخر، والدقة في وضع كل منها في موضعه الذي يقتضيه النظم القرآني، وأن إحلال غيره من الألفاظ في موضعه ضربٌ من العبث يترتب عليه فساد المعنى والإخلال بالغرض الذي سيق له اللفظ الكريم.

الدراسة الرابعة/ عمر علي حسن عرفات، دلالة سورة التكوير والانفطار والانشقاق على أحداث يوم القيامة دراسة أسلوبية مقارنة، دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد٤٦، العدد١، ملحق١ ٢٠١٩م.

حيث ركزت هذه الدراسة على موضوع يوم القيامة وأن هناك مجموعة من سور القرآن اشتركت في الدلالة على هذا الموضوع اختار منها الباحث سور التكوير والانفطار والانشقاق وأوضح أن لكل سورة من هذه السور أسلوبها وشخصيتها الخاصة في الدلالة على هذا الموضوع المشترك فهذا البحث هو دراسة مقارنة بين سور ثلاث تشترك في موضوع واحد وهو يوم القيامة بهدف الوصول إلى معرفة الأسلوب والشخصية المميزة لكل سورة واستخلاص بعض الفوائد واللطائف من ذلك.

وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي: القائم على النظر التحليلي في الدلالات اللغوية والسياقية لأسماء السور الثلاث، وفي أسلوب كل واحدة منهن في عرض مشاهد يوم القيامة ومصير الإنسان فيه وإثبات قدرة الله عليه.

والمنهج الاستنباطي: القائم على استنباط أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بين السور الثلاث فيما يتعلق بموضوع يوم القيامة ومصير الإنسان فيه وقدرة الله تعالى عليه.

والمنهج الوصفي: القائم على وصف أهم النتائج واللطائف المستنبطة من البحث.

التعليق على الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة يتبين أن كل دراسة من هذه الدراسات قد ركزت على أحد الجوانب خلال دراستها للسورة مثل الجانب البلاغي كما في دراسة الدكتور عيسى صلاح الرجبي أو مقارنة أسلوبية بين ثلاث سور في تناولها لموضوع يوم القيامة كما في دراسة عمر علي حسن عرفات أو الجانب الصوتي

والمستوى التركيبي كما في دراسة حيدري أو التركيز على آيات القسم في السورة كما في دراسة راجي محيسن محمد الهلالات.

أما هذه الدراسة فتقدم تفسيراً موضوعيا شاملاً للسورة الكريمة من مختلف الجوانب ولا تقتصر على أحد الجوانب فقط مما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومقصد، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه. وأما التمهيد: ففيه دراسة عامة عن سورة الانشقاق، من حيث اسمها، وعدد آياتها، وكلماتها وحروفها، وترتيبها، ونوعها، وتحقيق القول فيما ورد في فضلها، والمناسبة بينها وبين ما قبلها، وبيان الأغراض والمقاصد التي اشتملت عليها.

وأما المقصد: فيشتمل على التفسير الموضوعي لسورة الانشقاق، ويتضمن مبحثين هما:

المبحث الأول: مدخل إلى التفسير الموضوعي وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي.

المطلب الثالث: ألوان التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في سورة الانشقاق وفيه خمس مطالب:

المطلب الأول: المحور العام الذي تدور حوله السورة.

المطلب الثاني: الموضوعات التي تناولتها السورة.

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسورة من خلال محورها العام.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة من سورة الانشقاق.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات ومن ثم مقترحات الدراسة.

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

نبدأ هذا البحث بتمهيد حول هذه السورة الكريمة نذكر فيه بعض الومضات، وأول ذلك ما معنى الانشقاق؟ فيقال هو: افتراق امتداد عن التئام، فكل انشقاق افتراق وليس كل افتراق انشقاقاً وقيل: الانشقاق الانفطار[١].

الانشقاق: شققت الشيء فانشق، قال الله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)[٢].

أسماء السورة: سميت بعد أسماء منها سورة الانشقاق، سورة انشقت، سورة إذا السماء انشقّت[٣] وقيل هي سورة الشفق.

وجه التسمية:

«سورة الانشقاق»، «سورة انشقت»، «سورة إذا السماء انشقّت»، قد سمّيت هذه السورة بهذه الأسماء لقوله تعالى في أوّلها «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ »[٤].

عدد آياتها: عدد آياتها خمساً وعشرين عند أهل العدد بالمدينة ومكة وعدّها أهل البصرة والشام ثلاثًا وعشرين، واختلافها آيتان {كتابه بيمينه} و {وراء ظهره} أسقطها البصري والشامي، يقول أبو عمرو الداني: "وهي عشرون وثلاث آيات في البصري والشامي وخمس في عدد الباقين واختلافها آيتان {كتابه بيمينه} و{كتابه وراء ظهره} لم يعدهما البصري والشامي وعدهما الباقون"[٥].

عدد كلماتها: هي مائة وسبع كلمات[٦]. (الجدير بالذكر أن الأقوال في عدد الكلمات القرآنية مختلفة).

عدد الحروف: هي أربع مائة وأربع وثلاثون حرفا [٧]. (الجدير بالذكر أن الأقوال في عدد الحروف القرآنية مختلفة).

(١) الطوسي، التبيان في تفسير القران، ج١٠، ص٣٠٧.
(٢) نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج٦، ص٣٣٥٢.
(٣) التونسي، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص١٩٣.
(٤) شرف الدين، الموسوعة القرانية خصائص السور، ج١١، ص١٥٣.
(٥) أبوعمرو الداني، البيان في عد آي القرآن، ص٢٦٨.
(٦) المرجع نفسه.
(٧) المرجع نفسه.

أغراض السورة: يقصد من هذه السورة، إثبات المعاد، وما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب؛ فهي أيضا في سياق الإنذار، والترهيب، والترغيب، كالسورة السابقة (سورة المطفّفين) (١).

المحتوى والموضوعات: والسورة الكريمة ابتدأت بوصف أشراط الساعة، ثم فصلت الحديث عن أحوال السعداء والأشقياء يوم القيامة، وخلال ذلك حرضت المؤمنين على أن يزدادوا من الإيمان والعمل الصالح، وحذرت الكافرين من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم وفسوقهم.

محل النزول: سورة انشقت مكية.

زمان النزول: نزلت سورة الانشقاق بعد سورة الانفطار، ونزلت سورة الانفطار بعد الإسراء، وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة الانشقاق، في ذلك التاريخ أيضا(٢).

حال النزول: تشير السورة إلى أهوال وأحوال القيامة وهي اليوم المهول الذي يجازي فيه العباد على أعمالهم، فإن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته وطاعته وجعل لهم أمداً وأجلاً يرجعون إليه فيه، فيحاسب المرء على ما قدم، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، وذلك يوم القيامة حيث تقع فيه الأهوال العظيمة، كما ذكر الله عز وجل في وصفها وهذه الآيات وأمثالها آيات دالة على ربوبية الله عز وجل مستلزمة للعلم بصفات كماله، وعظيم قدرته(٣).

ترتيب السورة: ترتيبها في تعداد نزول السور الـ (٨١)، وقيل الـ (٨٣) حيث نزلت بعد الانفطار، وقبل سورة الروم، وترتيبها في المصحف: الـ (٨٤)(٤).

(١) شرف الدين، الموسوعة القرانية خصائص السور، ج١١، ص١٥٣..
(٢) الثعلبي، الكشف والبيان، ج١٠، ص١٨٥.
(٣) العاصمي، تفسير القران العظيم، ص٦٧..
(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٢/ ٢١٧)، د. محمد الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص٧٨.

التناسب بين اسم السورة ومحورها:

نلاحظ التناسب الواضح بين اسم السورة ومحورها فمحور الحديث فيها عن الساعة وما يتصل بها من الأهوال التي تتقدم وتمهد ليوم القيامة والانشقاق الحاصل للسماء يوم القيامة أول تلك المقدمات، كما أن في السورة انشقاقًا آخر وهو انقسام الناس عند العرض على قسمين: مؤمنين ينعمون وكفار يعذبون.

تناسب أول السورة مع آخرها:

حينما تعرض السيوطي للمناسبة بين أول سورة الانشقاق وآخرها أشار إلى ابتداء ذكر حال السماء يوم القيامة في مطلع السورة في قوله تعالى: {إذا السماء انشقت} وفي آخرها جاء ذكر السماء في قوله: {لتركبن طبقًا عن طبق} "على قراءة فتح الباء خطاباً للنبي ﷺ مراداً بذلك ركوبه سماء بعد سماء ليلة الإسراء"[1] ثم إنه سبحانه قال في نهاية السورة {بل الذين كفروا يكذبون} أي يكذبون بيوم البعث الذي يبدأ بانشقاق السماء حيث يتبدل كل شيء ويتغير.

العلاقة مع السورة السابقة:

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أحوال القيامة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير.

السورة الكريمة متناسبة الموقع مع ما قبلها وما بعدها، ذلك أن السور المتتالية كلها في وصف أهوال يوم القيامة والوعيد به وهذه مناسبة موضوعية واضحة وبارزة[2].

(١) السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، ص٧٩، والقراءة بفتح الباء هي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بضم الباء. انظر: النشر في القراءات العشر، (٢/ ٣٩٩).
(٢) السيوطي، تناسق الدرر، ص١٣٤..

مناسبة السورة مع ما بعدها:

تتعلق السورة مع ما بعدها (سورة البروج) من وجوه عديدة منها: التشابه في الافتتاح بذكر السماء، ولهذا ورد في الحديث ذكر السماوات مرادا بها السور الأربع، كما قيل في المسبّحات. وتلك السور هي الانفطار والانشقاق، والبروج، والطارق.

كذلك اشتمال السورتين على وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين، والتنويه بعظمة القرآن.

وأيضاً فقد تضمنت السورة أن الله عليم بما يجمع المشركون في صدورهم للنبي ﷺ والمؤمنين معه من أنواع الأذى المادي، كالضرب والقتل والتعذيب في حر الشمس، والأذى المعنوي، من حقد وحسد، وعداوة، ومكر، وخوف على فوت المنافع، وذكر في سورة البروج أن هذا شأن من تقدمهم من الأمم الكافرة الفاجرة. وفي هذا عظة للمشركين وتثبيت للمؤمنين(١).

تنقسم السورة إلى مقطعين:

وتنقسم هذه السورة الكريمة إلى مقطعين اثنين واضحين: فالأول منهما ينتهي بالآية الخامسة عشرة والثاني إلى نهاية السورة.

والمقطع الأول ينقسم إلى فقرتين تنتهي الأولى منهما إلى نهاية الآية الخامسة والثانية إلى نهاية الآية الخامسة عشر(٢).

فضلها:

أولاً: أنها من ثلاث سور حث النبي ﷺ على تدبرها والتفكر في معانيها فقال ﷺ: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عينٍ فليقرأ {إذا الشمس كورت} و{إذا السماء انفطرت} و{إذا السماء انشقت}(٣).

(١) الزحيلي، التفسير المنير، (٣٠/ ١٥١).
(٢) مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٩/ ٧٤، ٧٥).
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، (٢/ ٥١٥) رقم (٣٩٢٢)، والترمذي في جامعه، (٥/ ٣٥٨) رقم (٣٣٣٣)، وأحمد في مسنده، (٣/ ١٠٨٥) رقم (٤٨٩٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٩- ٧٠) رقم (١٠٨١).

ثانيًا: أنها من سور المفصل التي فضل بها رسول الله ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام ويقول ابن مسعود ﷺ في فضل سور المفصل: "إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء لباباً ولباب القرآن المفصل"(١).

قال ابن قتيبة: وأمّا المفصّل فهو ما يلي المثاني من قصار السّور، وإنما سمّيت مفصّلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: بسم الله الرّحمن الرّحيم(٢).

يقول رسول اللّه ﷺ: "أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المثاني مكان الإنجيل وأعطيت المئين مكان الزبور وفضلت بالمفصَّل"(٣) .

وفي الآية «الحادية والعشرين» من هذه السورة سجدة التلاوة.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، (١/ ٥٦١) رقم (٢٠٦٧)، والنسائي في الكبرى، (٩/ ٣٥٣) رقم (١٠٧٣٣)، الدارمي في مسنده، (٤/ ٢٠٨٣) رقم (٣٣٥٠)، وعبدالرزاق في مصنفه، (٣/ ٣٦٨) رقم(٥٩٩٨)، والطبراني في الكبير، (٩/ ١٢٩) رقم (٨٦٤٢)، وحسنة الألباني في هداية الرواة، (٢/ ٣٨٩، ٣٩٠) رقم (٢١٢٠).

(٢) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص٣٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٧/ ٣٧٥٦)، رقم (١٧٢٥٦)، والطبراني في الكبير، (٨/ ٢٥٨) رقم (٨٠٠٣)، وصححه الألباني في بداية السول، ص٥٩.

المبحث الأول

مدخل إلى التفسير الموضوعي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي.

المطلب الثالث: ألوان التفسير الموضوعي.

المبحث الأول

مدخل إلى التفسير الموضوعي

لقد كان ظهور التفسير الموضوعي كعلم مستقل بذاته بمثابة فتح لطالب العلم وللباحث، في استجلاء عظمة القران الكريم، والوقوف على أسراره، وحقيقة إعجازه في قوة تراكيبه وإحكام سرده وسكبه، ومن هذا المنطلق فقد ارتأيت أن أقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب للتعريف بهذا العلم وقيمته، ومدى عظمته في استجلاء حقائق القران الكريم، وعلى النحو التالي:

المطلب الأول

تعريف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحاً

يتكون مصطلح "التفسير الموضوعي" من جزأين ركبا تركيبا وصفياً فلا بد من تعريف كل منهما على حدة، ثم تعريف المصطلح المركب منهما.

أولا: التفسير في اللغة:

المتتبع للفظة (التفسير) يجد أن كل التعريفات اللغوية تدور على الكشف والبيان كما سيأتي:

١. جاء في مفردات الراغب[١]: الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تَفْسِرَةٌ، وسمّي بها قارورة الماء[٢] والتّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر، والتّفْسِيرُ قد يقال فيما يختصّ بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختصّ بالتأويل، ولهذا يقال: تَفْسِيرُ الرّؤيا وتأويلها. قال تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾.[٣]

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القران، ١٩٢/٢.
(٢) الزركشي، البرهان، ١٤٨/٢.
(٣) الفرقان، آية ٣٣.

٢. وقيل: التفسير هو (تفعيل) من (الفسر) بمعنى الإبانة والكشف عن المراد من اللفظ المشكل[١]. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾ أي تفصيلاً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

٣. ويقال: هُوَ مَقْلُوبٌ مِنْ سَفَرَ وَمَعْنَاهُ أَيْضًا الْكَشْفُ يُقَالُ: سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ سُفُورًا إِذَا أَلقت خمارها عن وجهها وهي سَافِرَةٌ وأسفر الصبح أضاء[٣].

وهذا القول الأخير لا يستقيم؛ لأن الأصل أن يكون للفظة ترتيبها، ودعوى القلب خلاف الأصل، قال الألوسي: "والقول بأنه مقلوب السَّفر، مما لا يسفر له وجه[٤]".

ثانيا: التفسير في الاصطلاح:

وردت عدة تعريفات للتفسير نذكر منها ما يلي:

فقد عرف أبو حيان التفسير بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك[٥]".

كما عرفه الزرقاني بأنه "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٦]".

ولعل تعريف الزرقاني هو أنسب التعاريف؛ كون التفسير هو بيان لمراد الله تعالى الذي لا تحيط به العقول البشرية القاصرة وبالتالي فإن كشف المراد لا يكون إلا في حدود الطاقة البشرية؛ لأن علم الله أوسع مدى وأكبر مما يحيط به عقل بشر.

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٨٣.
(٢) الزركشي، البرهان، ١٨٤.
(٣) المرجع السابق، ١٤٧.
(٤) الألوسي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، ٥.
(٥) الأندلسي، البحر المحيط، ١٢١.
(٦) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القران، ٣/٢.

ثالثًا: الموضوع لغة:

من الوضع وهو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان يقال ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل: وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعه يتعدى ولا يتعدى، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به(١).

رابعًا: الموضوع اصطلاحا:

" هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة، أو السلوك الاجتماعي، أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم(٢)".

أو نقول: أن كلمة موضوعي نسبة إلى دراسة موضوع نعين من الموضوعات التي تناولها القران الكريم، مثل: (المرأة في القران الكريم)، (القيامة في القرآن الكريم)، الأخلاق في القران الكريم، وهكذا.

أما التفسير الموضوعي: "فهو مصطلح معاصر، استخدمه المفسرون والباحثون المعاصرون، وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعاً من موضوعات القرآن أو مصطلحاً من مصطلحات القرآن أو سورة من سور القرآن أو القرآن الكريم كله.

وبما أنه مصطلح معاصر، فقد أورد من كتبوا فيه عدة تعريفات له، منها ما هو مختصر ومنها ما هو مطول، ومنها ما ينطبق على لون من ألوان التفسير الموضوعي دون سواه، ومنها ما ينطبق على أكثر من لون"(٣).

(١) العمراني، الوحدة الموضوعية في سورة الحجرات، ص١٠.
(٢) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٦.
(٣) الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٢٩.

وقد أورد الدكتور مصطفى مسلم عدة تعريفات رجح منها أن التفسير الموضوعي: "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"(١).

وقد علل هذا الترجيح بأنه تعريف خال عن التكرار وأنه يشير إلى نوعيه الرئيسين.

فيما رد هذا الترجيح الدكتور عبدالسلام اللوح باعتباره لا يشير إلا إلى لون واحد للتفسير الموضوعي، وهو الموضوع القرآني، هكذا أراد به من ذكر التعريف ابتداءً(٢).

وقد أورد تعريفًا أشمل وأوسع، حيث استوعب به الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي فقال: "هو جمع الآيات التي تتناول موضوعًا واحدًا أو مصطلحًا واحدًا أو الاقتصار على الآيات في السورة الواحدة، ويفسر ذلك تفسيرًا موضوعيًا مبرزًا وحدة الموضوع، ومحققًا لمقاصد القرآن وأهدافه"(٣).

وترى الباحثة الأخذ بهذا التعريف الشامل حيث حدد فيه المنهج والغاية.

(١) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٦.
(٢) اللوح والدهشان، مباحث في التفسير الموضوعي نظريًا وتطبيقًا، ص٨.
(٣) المرجع السابق، ص٨.

المطلب الثاني
أهمية التفسير الموضوعي

يقول الدكتور صالح الخالدي: " التفسير الموضوعي هو تفسير العصر الحاضر، وهو تفسير المستقبل أيضاً، وله أهمية كبـــرى عند المسلمين، وحاجتُهم إليه ماسة، وهذا التفسير يحقّق للمسلمين فوائد عديدة من حيـــث صـــلتهم بالقرآن، وتعرفهم على مبادئه وحقائقه، ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافاتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم، وتكوين مجتمعاتهم، ومن حيثُ حسن عرض القرآن والإسلام على الآخرين، والوقوف أمام الأعداء والمخالفين"(١).

وفيما بعض الأمور التي توضح أهمية التفسير الموضوعي:

أولًا: إن تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم(٢).

وذلك أن الباحث المسلم عندما يجابه مشكلة في الحياة، أو تقدم له نظرية مستحدثة في علم النفس، أو علم الاجتماع، أو في علوم الحضارة الإنسانية، أو العلوم الفلكية، أو العلوم الطبيعية، أو نظرية في الاقتصاد. فإنه لا يستطيع أن يجد لكل هذه النظريات المستجدة نصوصاً من آيات الذكر الحكيم تناقش مثل هذه القضية المطروحة وتبين حكم الله تعالى فيها، بل يلجأ الباحث عندئذ إلى معرفة الهدايات القرآنية وإرشادات السنة النبوية في هذا الاتجاه ويجمع الأفكار الرئيسية في هذا المجال، بحيث تتكون لديه ملكة لإدراك مقاصد القرآن الكريم في هذا الصدد، وبمنظار القرآن الكريم ينظر إلى حل هذه المشكلة أو يقوم هذه النظرية.

---

(١) الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٤٨.
(٢) اللوح والدهشان، مباحث في التفسير الموضوعي نظريًا وتطبيقًا، ص٨.

إن نصوص القرآن الكريم محددة والقضايا التي تناولها بالتوضيح والبيان والتفصيل محددة أيضاً: أما المشاكل الإنسانية وآفاق المعرفة فغير محددة ما دامت الحياة مستمرة على هذه الكرة الأرضية، ولا يمكن أن نجابه هذه المشكلات بظواهر النصوص المحددة. بل نجد المرونة والسعة في الخطوط الأساسية التي تعرض لها آيات التنزيل الحكيم.

ومن خلال علل النصوص وهداياتها العامة ودلالاتها وظلالها نستطيع أن نصل إلى أنوار كاشفة ترسم لنا الطريق وتحدد لنا المعالم لتقويم كل مستحدث جديد.

لذا لا يمكن أن نجابه مشاكل العصر ومعطيات الحضارة إلا بأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب "التفسير الموضوعي".

إن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإحاطة بدلالاتها يمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى أفكار وقواعد عامة جديدة، وعلى ضوء هذه القواعد والهدايات المستمدة من مقاصد النصوص الشريفة يستطيع الباحث أن يدرك معالجة الإسلام لهذه المعضلات والمشكلات(١).

ثانياً: إن تخصيص موضوع بالبحث والدراسة وجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به، وتحديد المرحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه، وتوجيه ما ظاهره التعارض، كل ذلك يهيئ للموضوع جواً علمياً لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تثري المعلومات حوله وتبلور قضاياه وتبرز معالمه.

ومثل هذا العمق ومثل هذا التوسع لإبراز معالم الموضوع لا يتيسر للباحث في أي نوع من أنواع التفاسير سواء التحليلي، أو الإجمالي، أو المقارن، بل التفسير الموضوعي هو الأسلوب الأمثل في بحث مثل هذه الأمور.

(١) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٣١.

ثالثًا: عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.

فكلما جدت على الساحة معطيات جديدة لتطور الفكر البشري، يعايشها المفسر، ويحط بدقائقها وحقائقها ثم يلجأ إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة ليستنطق النصوص الشريفة ويميط اللثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية.

رابعًا: تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها[١]: لقد نالت بعض العلوم القرآنية حظًا وافراً من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام، إلا أن علوماً جديدة برزت تحتاج إلى تأهيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم مثل "الإعجاز العلمي"، فقد برز هذا العلم وكثرت الكتابات فيه إلا أنه يحتاج إلى ضبطه بقواعد علمية مستمدة من هدايات القرآن الكريم لتجنب الإفراط والتفريط في إدخال الآيات مجال البحث والمتعلقة بالعلوم التجريبية من علوم الفلك والطبيعة والإنسان[٢].

(١) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٣٢.
(٢) المرجع نفسه.

المطلب الثالث

ألوان التفسير الموضوعي

هناك ألوان متعدد للتفسير الموضوعي يعد من أبرزها ما يلي:

اللون الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

"وهو أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد بها اللفظة ومشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها"(١).

"ومصطلحات القرآن التي تصلح لهذا اللون من التفسير الموضوعي كثيرة، مثل: السلم، الجهاد، الأمة، العدل، الأمانة، ....." (٢).

اللون الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني:

ويهتم هذا اللون بموضوعات القرآن العامة، فيختار الباحث أحد هذه الموضوعات، وينظر في آيات القرآن التي عرضته، ثم يستخرج منها الدلالات المختلفة، ويفضل أن يختار الباحث الموضوعات التي لها أبعاد دعوية إصلاحية أو مجالات علمية أو تربوية لأن هناك حاجة ماسة لهذه الموضوعات الآن.

وموضوعات القرآن التي لها هذه السمة، وتحقق هذه الغاية كثيرة منها نظام الحكم من خلال القرآن، الصبر في القرآن وغيرها"(٣).

اللون الثالث: التفسير الموضوعي للسور القرآنية:

اللون الثالث هو التفسير الموضوعي للسور القرآنية، وقد ألفت مؤلفات عديدة قديماً وحديثًا في تفسير سورة واحدة، وربما خص بعض العلماء تأليفًا مستقلًا حول سورة واحدة، نظرًا لمكانة هذه السورة الخاصة أو لاهتمامه بغرض تعرضت له السورة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣.
(٢) الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٥٢.
(٣) المرجع السابق، ص٥٤.

ولتفسير السورة الواحدة تفسيراً موضوعياً لا بد من اتباع خطوات منهجية علمية ليؤتي العمل ثماره، وتكون الثمار المتوقعة مكافئة للجهد المبذول.

١- التقديم للسورة بتمهيد يعرف فيه بأمور تتعلق بالسورة من ذكر سبب النزول أو المرحلة التي نزلت فيها السورة: مكية متقدمة أو متوسطة أو متأخرة، مدنية متقدمة أو متأخرة. وما ورد فيها من أحاديث صحيحة تحدد أسماءها، أو بعض خصائصها أو فضائلها.

٢- محاولة التعرف على الهدف الأساسي في السورة والمحور الذي تدور حوله ويكون ذلك من خلال دلالة الاسم، أو الموضوعات المطروحة في السورة أو أخذاً من المرحلة التي نزلت فيها.

٣- تقسيم السورة -وبخاصة الطويلة- إلى مقاطع أو فقرات تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر الهدف أو مجال من مجالات المحور، واستنباط الهدايات القرآنية منها وذكر المناسبات بينها.

٤- ربط هذه المقاطع وما يستنبط من هدايات من كل منها بالهدف الأساسي للسورة بقصد إظهار هذا الهدف وكأنها جداول صغيرة تمد المجرى الأساسي للنهر، أو الشطآن الملتفة حول جذع الدوحة، تقوي أصلها وتدعم ساقها وتآزر متنها لتستوي على سوقها وتعجب الناظرين فيها[١].

(١) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٤٠.

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية في سورة الانشقاق

وفيه خمس مطالب:

المطلب الأول: الموضوعات التي تناولتها السورة.

المطلب الثاني: المحور العام الذي تدور حوله السورة.

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسورة من خلال محورها العام

المطلب الرابع: الدروس المستفادة من سورة الانشقاق.

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية في سورة الانشقاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ۝٢٥﴾

المطلب الأول

المحور العام الذي تدور حوله السورة

يظهر من أقوال المفسرين في مقصد السورة، أن بعضهم اقتصر على موضوع الاختلاف الكوني، وآخرون على موضوع الاختلاف البشري، وبعضهم ذكر المواضيع التي ذكرتها السورة.

فقد بين الفيروزآبادي أن مقصود السورة ومحورها: بيان حال الأرض والسماء، وإخراج الأموات، والاشتغال بالبر، وبيان سهولة الحساب للمطيعين،

وبكاء العاصين، والقسم بتشقق القمر، وإطلاع الحق على الإسرار والإعلان، وجزاء المطيعين(١)، ويظهر أن هذا ذكر لمواضيع السورة.

واقتصر البقاعي على مقصد الاختلاف البشري، وذلك بانقسام الناس إلى أهل ثواب وأهل عقاب(٢).

وأوضح ابن عاشور: بأن السورة بدأت بوصف أشراط الساعة وحلول يوم البعث، واختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهل نعيم وأهل شقاء(٣).

وتنقسم السورة إلى مقطعين رئيسين، يشكلان مقصدها العام:

المقطع الأول: ذكر الاختلاف الكوني عند القيامة.

وهو من بداية السورة وحتى الآية الخامسة عشرة

الثاني: ذكر اختلاف سير الإنسان في الحياة.

من الآية السادسة عشرة إلى نهاية السورة.

وعند النظر في قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ نلحظ أنها تكررت مرتين، فأجد بذلك أنه حول دلالة هذه الآية يقوم مقصدها، وبهذا يتضح أن السورة تدور حول مقصد: التغير والاختلاف الكوني والبشري؛ لأن الجميع مستسلم ومنقاد الله تعالى.

فالكون بسمائه وأرضه سيتبدل ويتغير؛ لأنه منقاد الله تعالى وكذلك البشر فهم الآن كادحون، وستتغير أحوالهم بعد ذلك، ففريق في النعيم وفرق في الجحيم، ويظهر أن تسمية السورة كانت لهذه المعاني والاعتبارات. فإذا كانت جميع الأعيان والمظاهر الكونية منقادة ومستسلمة الله تعالى، فكذلك هم الناس.

(١) الزمخشري، الكشاف، ٧٢٦/٤.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، ٣٣٥/٢١.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٧/٣٠.

المطلب الثاني

الموضوعات التي تناولتها السورة

فسورة الانشقاق كما ذكرنا سابقا سورة مكية وعدد آياتها خمس وعشرون، وتصف السورة حالات يوم القيامة وعلامات تقع يوم الواقعة من انشقاق السماء ومد الأرض واستلامهما بأمر الله ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ٤﴾ (١).

ويلاحظ قلة الظروف في أسلوب هذه السورة كما يمكننا أيضاً ملاحظة تأكيد الظروف الخاصة بالسماء والأرض بعبارات تدل على الطاعة وكمال الاستسلام لله.

وأول هذه الظروف قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ ، ويتضح هنا أن نسبة فعل الانشقاق الذي يدل على الصدع والخرم إلى السماء قد أفاد أن السماء بعظمتها ستبادر من تلقاء نفسها بالاستجابة لأمر ربها فتنشق إيذاناً ببدء يوم القيامة، أكد هذا الفعل على صيغة المبني للمعلوم، وأن في ذلك دلالة أبرز على التهويل.

ثم يقول تعالى عطفاً على الظرف الأول المتقدم: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي استمعت لأمر ربها، كما يقال: أذن له، أي: استمع، أي كانت شديدة الاستماع والطواعية كمن كان له أذنٌ واعية ونفس مطمئنة(٢)، واختص ذكر الرب دون غيره من الأسماء لما يؤذن به وصف الرب من الملك والتدبير(٣)، و(حُقَّتْ) : أي حقق الله عليها الاستماع بالانشقاق، والانتهاء إلى طاعته في ذلك، من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، والمعنى: (أي فعلت في انقيادها الله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع(٤))

(١) حيدري، سورة الانشقاق دراسة أسلوبية، ص٢٨٧.
(٢) الطبري، جامع البيان، ٨٥٤٣/١٠، وابن كثير، تفسير القران العظيم، ٦٥٦/٤، والبقاعي، نظم الدرر، ٣٦٧/٨.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٩/٣٠.
(٤) الزمخشري، الكشاف، ٧١٣/٤.

وتبدو دلالة الاستسلام والانقياد جليةً من الفعلين (أذنت) و (حقت) كما ذكر المفسرون فيما سبق.

وأما الظرف الثاني فهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، ومدّها له معنيان يكمل أحدهما الآخر، فالمعنى الأول أنه ستُزال جبال الأرض وآكامها وكل أمت فيها حتى تصبح منبسطة مستوية، والثاني أنها ستمط وتزداد سعةً ليحشر الناس للحساب(١).

ويتضح لنا هنا أن الفعل المتعلق بالسماء التي هي آية أعظم بكثير من الأرض، جاء على صيغة المبني للمعلوم (انشقت)، لإفادة أنها بعظمتها ستبادر بالانشقاق، بينما الفعل المتعلق بالأرض جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله: (مُدَّت)، للدلالة على عظمة آمرها بالمد سبحانه وتعالى.

ثم يقول تعالى عطفاً على الظرف الثاني: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: ألقت ما فيها بطنها من الكنوز والأموات إخراجاً سريعاً كأنها تقذفه قذفاً، وتخلَّت تعمدت وتكلفت الخلو عن ذلك والترك له غاية جهدها كأن الأرض فاعلة لهذا(٢)، وقد ذُكِرت هذه العبارة المتعلقة بالأرض ولم تذكر عبارة مثلها مع السماء لأن المقصود منها بيان مصير الإنسان الذي طالما كان ينكر الحياة الآخرة بعد أن يُدفن في الأرض، فبينت هذه العبارة أنه سوف تلقيه الأرض وتتخلى عنه ويبعث منها حياً للحساب، ولا تخفى دلالة هذه العبارة على الاستسلام والانقياد كما ذكر المفسرون فيما سبق.

ثم أكد السياق دلالة الاستسلام والانقياد للأرض بذات العبارة التي أكد بها الظرف الأول المتعلق بالسماء، فقال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: استمعت

(١) الطبري، جامع البيان، ٨٥٤٤/١٠، والزمخشري، الكشاف، ٧١٣/٤، والرازي، مفاتيح الغيب، ١٠٥/٣١.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، ٣٦٨/٨، وللزمخشري كلام قريب جداً منه: الكشاف، ٧١٣/٤، وكذلك ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢٠/٣٠.

الأرض لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإلقاء التخلي. وقد تقدم الحديث عن دلالة ألفاظ هذه العبارة على الاستسلام والانقياد الله تعالى.

فظاهر من أسلوب سورة الانشقاق في عرض مشاهد يوم القيامة أن الاستسلام والانقياد قد برزا بوضوح، ويؤكد هذا ذكر عبارة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ مرتين، مرة مع السماء ومرة مع الأرض، ويؤكد ذلك اختيار الأفعال الدالة على الاستسلام مثل (مدت، ألقت، تخلت).

كما ويلاحظ أن طابع التهويل هنا أقل منه في سورة الانفطار، ففعل الانشقاق أقل دلالة على التهويل من فعل الانفطار، كما سبق بيانه، ولم يذكر السياق شيئاً عن الكواكب أو النجوم أو البحار، وإنما كان الحديث عن السماء والأرض فقط.

ثم انتقلت الآيات للحديث عن مصير الإنسان يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ٦﴾.

قال الزمخشري: (الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها)[1]، وقوله تعالى (فملاقيه) له معنيان: إما أن يعود الضمير إلى الرب سبحانه، أي: فملاقي حكمه لا مفر لك منه، أو أن يعود الضمير إلى العمل أي فملاقي جزاء كدحك من خير أو شر[2].

ولا زال السياق يدل على كمال الاستسلام في يوم القيامة، فبيّن أن الجميع مستسلمون للحساب، فمنهم مَنْ يؤتى كتابه بيمينه، فحسابه يسير، ويختم له مع أهله بالسرور، ومنهم من يؤتى كتابه وراء ظهره، فيدعو على نفسه بالثبور، ومما يؤكد دلالة الاستسلام قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا١٥﴾ أي إن الإنسان ظن في الدنيا أن لن يرجع إلى الله تعالى، ولن يبعث بعد مماته، ولكن السياق رد عليه ببيان أن الله تعالى الذي ابتدأ إنشاءه ورباه كان أزلاً وأبداً به بصيراً

(١) الكشاف، ٧١٣/٤، وقد ذكر الشربيني العبارة ذاتها: السراج المنير، ٢٢١/٤.
(٢) ممن ذكر هذين الوجهين من المفسرين: الزمخشري، الكشاف، ٧١٣/٤، وابن كثير، تفسير القران العظيم ٦٥٤/٤، والشربيني، السراج المنير، ٥٧٨/٤.

ناظراً إليه وعالماً به أبلغ نظر وأكمل علم[١]، فسيرجع الإنسان إلى ربه وسيحاسبه وهو مستسلم لا يملك أن يقدم أو يأخر من أمره شيئاً.

ثم تتحدث السورة عن الأبرار وأصحاب الميمنة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾

ثم تصف أصحاب السعير موازنة بين سرور المؤمنين في الآخرة وسرور الكافرين في الدنيا: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥ ﴾

فهناك أقسام وأيمان بالمظاهر الطبيعية من الليل والقمر ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩ ﴾

وفي النهاية ذكرت أعمال الكفار والصالحين وجزاءهم وفقاً لأعمالهم: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥ ﴾[٢].

فيلاحظ هنا أن السياق يثبت قدرة الله تعالى على البعث والحساب من خلال القسم بآيات كونية دالة على عظمته وقدرته، فقال ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩ ﴾

والشفق: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب بعد غروب الشمس[٣] ، ومعنى قوله تعالى: (والليْلِ وما وَسَقَ)، أي ما جمعه مما كان منتشراً في النهار من ناس أو حيوان أو طير فإنها تأوي في الليل إلى مآويها[٤]، ومعنى قوله تعالى: (والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ) أي: انتظم واجتمع كماله واستوى ليلة أربع عشرة[٥]، والدلالة التي تجمع

(١) الطبري، جامع البيان، ٨٥٤٩/٨، والبقاعي، نظم الدرر، ٣٧٢/٨.
(٢) الطبري، جامع البيان، ٨٥٤٩/٨، والبقاعي، نظم الدرر، ٣٧٢/٨.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١،١٠٩، والآلوسي، روح المعاني، ١٥،٢٨٩.
(٤) الطبري، جامع البيان، ٨٥٣٣/١٠، وقد ذكر معنى آخر: أي وما ساق من الظلمة، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢٧/٣٠، وقد ذكر معنى آخر أيضا: أي وما ظهر فيه من النجوم كأنه جامع له.
(٥) الزمخشري، الكشاف، ٧١٤/٤.

هذه الأقسام الثلاثة إنما هي دلالة الاستسلام، فالشفق والليل والقمر من آيات الله المستسلمة لأمره تعالى، أكد ذلك أن السياق لم يصف الشفق بأي صفة، ليدل على أنه آية مستلمة لأمر الله مستمرة يراها الإنسان كل يوم فلا يمكنه إنكارها، وكذلك وصف الليل بقوله (وما وسق) الدال من ناحية على إيواء المخلوقات إلى مساكنها باستسلام تام وهدوء، ومن ناحية أخرى يدل على أن الليل آية مستسلمة لأمر الله يراها الإنسان كل يوم فلا يمكنه إنكارها، وكذلك وصف القمر بقوله (إذا اتسق) الدال على أنه يدور في مساره باستسلام حول الأرض ويعكس ضوء الشمس وفق دورة منتظمة.

ثم ذكر السياق جواب القسم المتعلق بحال الإنسان والمبيِّن أنه أيضاً مستسلم لأمر الله تعالى ليس بيده شيء الآيات الكونية التي أقسم الله بها، فقال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ١٩ ﴾ أي: حالاً بعد حال، وفق مشيئة الله، أما تفصيل هذه الأحوال والتقديرات فهو شامل لحياة الإنسان في الدارين، إذ يكون جنيناً ثم رضيعاً ثم شاباً ثم شيخاً، ثم موت ثم برزخ ثم بعث تماماً كحال ثم حساب ثم جنة أو نار[1]، ولا يخفى أن الإنسان في هذه الأحوال والتقديرات ليس له إلا الاستسلام للخالق سبحانه وتعالى.

ثم حذر السياق بعد القسم وجوابه الدال على استسلام المخلوقات جميعها لأمر الله تعالى من الإعراض عن الإيمان بالخالق العظيم سبحانه وبما يوحيه إلى رسوله ﷺمن الذكر الحكيم، فقال معرضاً عن خطابهم إلى الغيبة إيذاناً باستحقاقهم للأخذ إن لم يرجعوا[2]، ﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ٢١ ﴾ ، أي ما الذي يدفعهم للكفر وهم يرون آيات الله تعالى الكونية الدالة عليه في كل يوم؟

(١) من المفسرين الذين قالوا إن هذه الآية متعلقة بالدارين البقاعي نظم الدرر، ج ٨، ص ٣٧٣ ، والشربيني، السراج المنير، ج ٤، ص ٥٧٩، وابن عاشور التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٢٢٩.
(٢) البقاعي، نظم الدرر ، ج ٨، ص ٣٧٣. وهو يشير إلى فائدة الالتفات في الآية من الخطاب إلى الغيبة.

وما الذي يدفعهم إلى عدم الإيمان والسجود لمنزل القرآن سبحانه وتعالى، بعدما بين السياق أن خالق الأكوان هو منزل القرآن؟ فما الذي يمنع الإنسان من الإيمان والاستسلام والسجود للخالق سبحانه وتعالى؟(١).

وكما افتتحت السورة ببيان استسلام السماء والأرض لربهما سبحانه وتعالى يوم القيامة، ختمت ببيان المصير النهائي للكافرين وللمؤمنين يوم القيامة، مما يدل على استسلام الإنسان أيضاً لربه سبحانه وتعالى في ذلك اليوم: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴿٢٥﴾﴾، فهؤلاء الكافرون مع معاينتهم لآيات الله الكونية في كل يوم فلا يستطيعون إنكارها، مع ذلك يصرون على التكذيب، (واللهُ أَعْلَمُ بما يُوْعُونَ) أي: هو أعلم بما يجمعون في صدروهم ويضمرون من الكفر والحسد أو بما يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء(٢)، فهؤلاء لهم عذاب أليم لن يجدوا غير الاستسلام له في ذلك اليوم العظيم.

وأما الذين استسلموا لأمر ربهم في الدنيا فآمنوا وعملوا صالحاً فلهم أجر يُعطونه مع كرامة بحيث لا يُعرض له بمنة، لأن المنك تنغص الإنعام، وهو غير

---

(١) من لطائف هذه السورة أنها اختصت بسجدة التلاوة، وذلك بعد بيان استسلام الكون لأمر الله تعالى، وكأن السجود في هذا الموضع يدعو الإنسان أيضاً لأن يكون مستسلماً لأمر الخالق تعالى فيبادر إلى السجود. وقد ذكرت سجدة التلاوة في أكثر من موضع في القرآن في سياق دعوة الإنسان إلى الاستسلام والسجود بعد بيان استسلام الكون لأمر الخالق سبحانه، ومن هذه المواضع قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩﴿١٥﴾﴾ (الرعد: ١٥) وقوله﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩﴿٥٠﴾﴾ (النحل: ٤٩ ٥٠) وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩﴿١٨﴾﴾ الحج: بعض الآية ١٨.

(٢) ينظر: الزمخشري الكشاف، ج ٤، ص ٧١٦ ، والشربيني، السراج المنير، ج ٤، ص ٥٧٩.

منقطع عنهم[١]، وهم في الجنة مستسلمون لأمر الله تعالى الذي أكرمهم بهذا النعيم إذ كانوا مستسلمين له في الدنيا بإيمانهم وعملهم الصالح.

وكل هذه المعاني والصور تكون على أساليب مختلفة في إيراد المعني المروع، كما تضافرت كل المستويات اللغوية لرسم المشاهد بإيقاعات متناسبة[٢].

(١) ممن ذكر هذين الوجهين ابن عاشور التحرير والتنوير ، ج ٣ ، ص ٢٣٥. ولكن ابن كثير لم يقبل أن يكون تفسير الآية بمعنى المنَّة، وقال: (فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً ، ولذا يُلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون.

(٢) حيدري، سورة الانشقاق دراسة أسلوبية، ص٢٨٨.

المطلب الثالث

الوحدة الموضوعية للسورة من خلال محورها العام

بعد الحديث عن أهوال القيامة وأن الإنسان حتما ملاق ربه، ناسب ذلك أن يذكر أصناف الناس يوم القيامة: من أوتي كتابه بيمنه ومن أوتي كتابه بشماله وبين حال كل منهما، واختلافهم في اخذ الكتاب، ثم ناسب أن يقسم ببعض مخلوقاته التي يعتريها الاختلاف والتغير كالليل والقمر أن الناس يركبون أحوالا متباينة، ثم بيان أنه لازال هناك من الناس من يصر على العناد ولا يؤمن بالله.

يقول الدكتور مصطفى مسلم: " فمحور هذه السورة الكريمة: (الساعة وما يتصل بها)، حيث تحدثت عن بعض الأهوال التي تحدث في ذلك اليوم، إما على هيئة مقدمات أو مآلات، ثم تحدثت عن حال الإنسان السعيد الذي يلقي كتابه بيمينه، والشقي الذي يلقى كتابه وراء ظهره، عياذاً بالله تعالى. ثم تبع الحديث عن أحوال المخاطبين عموماً، وتبع ذلك بيان مآل الكفار ومآل المؤمنين "[١].

(١) مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٩/ ٧٤).

المطلب الرابع

الدروس المستفادة من سورة الانشقاق

من خلال ما سبق وبعد دراستنا لهذه السورة الكريمة نستطيع أن نحدد بعض الدروس والعبر المستفادة من سورة الانشقاق نذكر منها ما يلي:

١- أوضحت السورة بعضاً من أهوال القيامة وما يحدث فيها وذلك تذكيراً للإنسان وحثًا على ضرورة الاستعداد لذلك.

٢- الكون كله مستسلم لله عز وجل ولا ينبغي للإنسان أن يشذ عن ذلك.

٣- مهما كان العناء والشقاء في هذه الحياة فليس هذا بعذر للإنسان عن الاستعداد لملاقاة الله.

٤- بينت السورة المعنى الحقيقي للسعادة والشقاء وأن السعيد من أوتي كتابه بيمينه وأن الشقي من أوتي كتابه بشماله.

٥- على الإنسان أن يعمل ويسعى ليكون حسابه يسيراً لينقذ نفسه من الأهوال الخطيرة.

٦- إن ترقي الإنسان وتبدل حاله للأفضل دليل على نعمة الله عليه.

٧- توضح السورة أن سبب الكفر هو الكبر والغرور والعناد.

٨- تبشر السورة المؤمنين بعدم انقطاع أجرهم وفي ذلك ما يحملهم على الاستمساك بدينهم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد فقد من الله علي بإكمال هذا البحث بعنوان " تفسير سورة الانشقاق –دراسة موضوعية–" وألخص هنا أبرز النتائج والتوصيات ومقترحات الدراسة التي توصلت إليها في هذا البحث:

أولاً: النتائج:

بعد هذه الدراسة المتأملة لسورة الانشقاق يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

١. أن الدراسة الموضوعية والتحليلية لاسم سورة الانشقاق بينت أنهما تعطيان طابع الاستسلام والانقياد، إذ الفعل فيها جاء مؤكداً بقوله تعالى: (وأذنت لربها وحقت)، مما يفيد أن السماء بعظمتها ستبادر بالانشقاق يوم القيامة حتى تصل إلى مرحلة الصدع والخرم.

٢. إن أسلوب سورة الانشقاق في عرض يوم القيامة قد امتاز بطابع الاستسلام والانقياد، مما يتناسق مع دلالات اسم السورة، أكد ذلك مجيء الظرفين المتعلقين بالسماء والأرض مؤكدين بعبارة مشتركة، (وأذنت لربها وحقت).

٣. إن أسلوب السورة في عرض مصير الانسان يوم القيامة قُصد منه بيان كمال الاستسلام، إذ جاء على صيغة نداء للإنسان يدل على أنه لا مفر من مجازاته على كدحه في الدنيا، فمن أوتي كتابه بيمينه فهو من أهل الجنة، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فهو من أهل النار، والكل مستسلم لأمر الله لا يستطيع أن يقدم أو يؤخر شيئا.

٤. إن أسلوب السورة في إثبات قدرة الله تعالى على البعث والحساب يوم القيامة جاء عن طريق القسم بظواهر كونية مستسلمة لأمره تعالى في هذه الدنيا، إذ أقسم تعالى بالشفق دون أن يصفه بأي صفة، وبالليل وما جمعه من الكائنات في استسلام، وبالقمر المستسلم لدورته الفلكية حتى يتسق حالاً بعد حال، وجواب القسم

دال على استسلام الانسان لأمر الله يوم القيامة: (لتركبن طبقا عن طبق)، مما يدل على أن الذي جعل هذه الظواهر مستسلمة لأمره في الحياه الدنيا، هو الذي سيجعلها مستسلمة لأمره أيضا في الآخرة كما جاء في مطلع السورة، وهو الذي سيجعل الانسان مستسلماً لأمره تعالى يوم القيامة لا يملك أن يقدم أو يؤخر شيئاً.

٥. العلاقة الدلالية بين اسم السورة ومضمونها مثل ملمحاً أسلوبياً بارزاً.

٦. يمكن أن تعد سورة الانشقاق إجمالا لما سبقها في سورتي الانفطار والتكوير.

٧. لا يمكن أن يقال إن ترتيب الآيات في السورة جـــاء بطريقة عكسية إذ بدأ بلحظة المستقبل المتمثل بيوم الحساب مما أثار في نفس الإنسان الرهبة الشديدة من هول ذلك اليوم، وإنما هو ترتيب مقصود لمن يتأمل الحكمة في نسق الآية فى الوضع الذي جاءت عليه.

ثانيًا: التوصيات:

في ضوء نتائج البحث توصي الباحثة بما يلي:

١. إجراء المزيد من الدراسات التربوية على سور القرآن الكريم؛ لاستنباط المضامين التربوية منها.

٢. ضرورة الاستفادة من الأساليب التربوية المُستنبطة من سورة الانشقاق في الميدان التربوي والتعليمي.

٣. ضرورة أن يتناول الدُعاة وخطباء المساجد في خطبهم الدعوية مقاصد سورة الانشقاق، وتوضيح الأساليب التربوية المُتضمنة فيها.

٤. ضرورة إعداد القائمين على البرامج التعليمية في الجامعات كتيباً يوضح موضوعات السورة ومقاصدها وأبرز الأساليب التربوية فيها، وتوزيعه على طلبة الجامعات، لا سيما المتخصصين في الجانب الشرعي.

٥. الحرص على إعمال الفكر بصورة سليمة، من خلال التدبّر والتفكّر في آيات الله، ومخلوقاته ونعمه.

ثالثًا: مقترحات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة وتوصياتها تقترح الباحثة إجراء الدراسات التالية:

١. صور الإعجاز الواردة في سور الانشقاق، وكيفية الاستفادة منها في التعليم المعاصر.

٢. الدلالات التربوية المستمدة من سورة الانشقاق دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد

إنه ولي ذلك والقادر عليه

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾	الرعد	١٥	٢٥٨
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	النحل	٤٩ – ٥٠	٢٥٨
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾	الإسراء	٩	٢٢٧
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾	الحج	١٨	٢٥٨
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾	الفرقان	٣٣	٢٤١
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾	ص	٢٩	٢٢٧

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾	الزخرف	٤٣ – ٤٤	٢٢٧
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾	محمد	٢٤	٢٢٧
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ	الانشقاق	١ – ٢٥	٢٣٥ – ٢٥١ – ٢٥٣ – ٢٥٨

مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾			

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عينٍ ...	٢٣٨
إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة ..	٢٣٩
أعطيت السبع الطول ..	٢٣٩

فهرس المصادر والمراجع

١- بن حنبل، الإمام أحمد. (١٤٢١). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. (١٤٢٨). شعب الإيمان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.

٣- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٤- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن. (١٢٠٩). التبيان في تفسير القران، ط١، مكتب الاعلام الإسلامي، طهران.

٥- اليمني، نشوان بن سعيد الحميري. (١٤٢٠). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

٦- التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور. (١٩٨٤). التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

٧- شرف الدين، جعفر. (١٤٢٠). الموسوعة القرانية، خصائص السور، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت.

٨- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (١٤٢٢). الكشف والبيان عن تفسير القران، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- العاصمي، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن. (١٤٣٠). تفسير القران العظيم، ط١، دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية.

١٠- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. تحقيق: الشيخ عادل عبدالموجود- والشيخ علي محمد معوض. (١٤٢٢). البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل. (٢٠٠٩). مفردات ألفاظ القران، دار القلم، دمشق.

١٢- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (١٩٥٧). البرهان في علوم القران، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، بيروت.

١٣- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي. (٢٠٠١). تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (١٤١٥). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دمشق.

١٦- العمراني، منصور علي سالم ناصر. (٢٠١٩). الوحدة الموضوعية في سورة الحجرات، مجلة جامعة البيضاء للبحوث، جامعة الحديدة، (ع١)، اليمن.

١٧- مسلم، مصطفى. (٢٠٠٥). مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق.

١٨- سعيد، عبد الستار فتح الله. (١٩٩١). المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الاسلامية. مصر.

١٩- أبي الحسن، محمد بن حسن بن عباس. (٢٠٢٢). حسن البيان في تفسير آي القران، الألوكة للنشر.

٢٠- حيدري، محمود. سورة الانشقاق دراسة أسلوبية، جامعة ياسوج- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جمهورية إيران الإسلامية.

٢١- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القران، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

٢٢- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (١٩٩٨). تفسير القران العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣- والبقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة.

٢٤- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد. (١٩٨٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث، القاهرة – دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (١٤٢٠). مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦- الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي. (١٢٨٥). السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة.